وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945-قالمة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الإجابة النموذجية لسؤال مقياس: اللسانيات العامة-السداسي الأوّل(2020/2019)

تمهيد:

إذا ما انطلقنا من أواخر **العصور الوسطى** فالملاحظ أنّ الدراسات الغوية ، **كانت دراسات معيارية تعتمد على المنطق والمقولات العقلية ، لا تعترف إلا باللغة اللاتينية** ، لغة نحوٍ و فنٍ وعلمٍ ، فبدا نحوهم متأثّرا بالنحو الإغريقي،كما عكف العلماء على **ترجمة الكتاب المقدس إلى اللاتينية** ، ثم بدأت الدراسات تنشط شيئا فشيئا ، خاصة بظهور الرّحالة و المبشرين الذين ركّزوا على **مبادئ التعليم في الإطار الديني والتبشيري** .

ومن خلال جهودهم في التعرف على اللغات الأجنبية ، لخدمة أغراضهم الاستكشافية و الدينية ، فكانت النواة الأولى للدراسات المقارنة بين اللغات القومية واللغة اللاتينية من جهة.

0,5

وبعد **زيادة الرحلات الاستكشافية** انصبّت الدراسات حول **آثار كبار الأدباء اليونانيين والرومان من حيث الأسلوب واللغة** ، وهنا بدأ العمل **النقدي للنصوص**. وأخذ كذلك اللغويون الأوربيون **بدراسة لغات أخرى غير اليونانية واللاتينية ،منها: بعض اللغات السامية وخطوطها كالسريانية والعبرانية والحبشية والعربية على يد مستشرقين من أمثال الايطالي (ثيسيوس أمبروجيو-1469م-1540م) والمالطي (ليونارد أبلا –ت1605م) ،وكما فعل الرحالة بيترو دلافالي (1586-1652) في رحلاته إلى تركيا وسوريا وفلسطين والعراق ، حيث عاد إلى روما بكثير من المخطوطات القبطية والعربية.**

0,5

وبعد اكتشاف اللغات القومية الأوربية واللغات الآسيوية والعربية والعبرية بدأت تسود **فكرة منطقية اللغة التي تزعمتها مدرسة بور رويال في فرنسا , حيث قام اثنان من القساوسة وهما (لانسلو) و (أرنو) عام 1660م بوضع كتاب أُطْلِقَ عليه اسم (النحو العام والعقلاني) ، ورؤوا فيه أنّ النَّمَاذِجَ النَّحويَّةَ ينبغي أن تتطابق مع متطلّبات المنطق** ، ولَمَّا كان المنطِقُ واحداً عند البشر جميعاً كان من الممكن بناءُ نظريَّةٍ

0,5

نحويَّةٍ جامِعَةٍ تُناسِبُ جوهر اللغاتِ جميعاً. استمر هذه التيَّارُ المنطقيُّ العقلانيُّ حتَّى القرنِ الثامن عشر, وحتى ذلك التاريخ كان اللغويون يعتدُّون باللغة المكتوبة ، ثم بدأ اهتمام الإنكليز ينصبُّ على اللغة المنطوقَةِ. حيث استقلت اللغات القومية كالفرنسية والإسبانية والإيطالية ، والتي كانت مجرد لهجات يُنْظَر إليها نظرةً دُونِيَّةً.

ثم توسعت الرحلات الاستكشافية التي أثمرت على العديد من الدراسات المقارنة بين اللغتين الهندية ومختلف لغات أوربا المنشقة عن اللاتينية حيث توسعت إلى الهولندية والدانمركية والإنجليزية والألمانية والفرنسية ، ومع امتداد البعثات التبشيرية الأوربية إلى آسيا ، امتدت الأعمال إلى اللغات الهندية في الشمال ، ووصلت حتى الصين وبورما واقليم التبت والبنغال، وكان ذلك مع مطلع القرن الثامن عشر. 0,5

كما أجريت دراسات وصفية حول لغات الهند المحلية خصوصا الجنوبية منها، مما جعل البعض يدلون بملاحظات لغوية اكتشفوها في لغة الهند الدينية (السانسكريتية) ،ومن بين تلك الدراسات نجد:

-موازنة (فُلكانيوس) بين السانسكريتية ولغة الغجر.

-كذلك فعل الإيطالي (ساسيتي) الذي قارن بينها وبين الإيطالية ، ولاحظ التَّطَابُقَ الصَّرِيحَ بين السنسكريتية والألمانية والكرواتية .

-وكما فعل (توماس ستيفنسن) حين اكتشف روابطا بين اللغات الهندية واليونانية واللاتينية .

-ومن جهة أخرى ألَّفَ الرَّاهِبُ (بارتلمي) كتاباً أوّلا في القواعد السنسكريتية طُبِعَ في روما عام 1797, كما ألَّفَ كتاباً آخر عام 1799م بعنوان (في قِدَم اللغة الفارسية والسنسكريتية والجرمانية) حيث درس أوجه التشابه بينها. 07

-ثمّ جاء (وليم جونز) حيث تطرّق إلى هذا التَّشَابُه في بحثٍ له قَدَّمه للجمعية الآسيوية التي أسَّسَها في البنغال , حيثُ قالَ : (إن للغة السنسكريتية – مهما كان قِدَمُها – بُنْيَةً رائعةً أكمَلَ من الإغريقية , وأغنى من اللاتينيَّةِ , وهي تَنُمُّ عن ثقافةٍ أرقى من ثقافة هاتين اللُّغَتَين.

-بعدها قام المستشرق الفرنسي (سلفستر دي ساسي) بإحياء مركزٍ للأبحاث في باريس تابعٍ لمدرسةِ اللُّغاتِ الشَّرقِيَّةِ منذ عام 1796م ، وتوافد اللغويُّونَ الألمانُ إلى هذا المركز للاطِّلاعِ على اللغة السنسكريتية , فكان من الباحثين في هذا المركز : الأخوان شليغل ، وهمبولدت، وفرانز بوب وغيرهم ، وقد برزت فكرة الدراسات المقارنة على يد فرانز بوب.

-والعمل المبهر والمنظم في هذا الإطار كان من طرف السير الإنجليزي "وليام جونز" عند اكتشافه للغة السنسكريتية سنة 1786م ، مبرزا العلاقة بينها وبين اللاتينية من جهة وبينها بين اليونانية من جهة أخرى.

لكن الذي لا يمكن أن نغفله هو أنّ الاستكشافات كانت لها أغراض أخرى ؛ منها الاطلاع على ثقافات الناس وكتاباتهم وأسرارهم المدفونة، فكان هناك اتجاه من اللغويين يبحثون في خبايا المخطوطات والنقوش والمستحاثات ، نقدا للنّصوص وجمعا لمعطياتها وإعادة بنائها ، فيما عرف **بالدراسات الفيلولوجية كالتي قام بها "أوغست وولف" في دراساته النقدية المقارنة للنصوص القديمة(1777)** حيث كان هدفه من هذا المنهج تفسير النصوص القديمة وإعادة بنائها.

- واصل كل من **شليشر وماكس ميلر وكريتيوس وجاكوب جريم في (النحو الألماني) ، وراسك وغيرهم على هذا النهج مشكلين بذلك مدرسة قائمة بذاتها معتمدة على المقارنة بين اللغات. مدرسة (ليبزيغ) الألمانية،فيما بات يعرف بالنحاة الجدد أو النحاة الشباب** ، حيث اعتبروا :

-التغيّر على المستوى الصوتي مطردا ومفسّرا للتغيرات اللغوية.

-واعتبروا أنّ التطوّر الحقيقي للغة لا يتضح إلا من خلال الممارسة اللسانية الحيّة(اللغة المنطوقة-الكلام).

لكن موضوعاتها بقيت مشتتة وغير مستقرة على جانب أو جوانب محددة في اللغة بصفة عامة.

لقد أدّى اكتشاف القرابة بين السنسكريتية واليونانية واللاتينية العلماء **إلى الكلام عن العائلات اللغوية** ، وأدى هذا إلى فهم معمق للنحو الهندي مما أوقف الأوربيين على حقائق مهمة منها أنّ **النحو البانيني الهندي ليس نحوا فلسفيا ومعياريا كالنحو اليوناني واللاتيني،** كما **عمّق الدراسات حول مقارنة اللغات فأصبحت مودة العصر** ، بينما هي شوط آخر من أشواط البحث اللغوي آنذاك سمي بمرحلة النحو المقارن ، وتزعم هذا الاتجاه "فرانز بوب" وتجلى ذلك في عمله الموسوم بنظام تصريف السانسكريتية، وكان هذا مع **منتصف القرن التاسع عشر.**

وكان من نتائج هذه المرحلة التي سميت بمرحلة الدراسات المقارنة(أزمة النحو المقارن) الكشف عن الخصائص الأساسية للغات الرئيسية في العالم ، وتحديد أوجه التقارب والتباعد بينها،وتصنيفها في شكل عائلات لغوية.

لكن هذه الدراسات التي كانت تبحث في صلات القرابة بين اللغات ، دفعت بالعلماء إلى تغيير وجهة النظر في البحث إلى قضايا أخرى مستمدة من المقارنة هي بالخصوص:

-البحث عن أسبقية لغة عن أخرى .

-حياة اللغات والتغيرات التي تطرأ عليها.

- أدركوا أنّ العلاقات بين اللغات ما هي إلا جانبا من جوانب الظاهرة اللغوية.

-توصّلوا إلى أنّ المقارنة وسيلة تشكّل منهجا لإعادة بناء نوع من الأحداث فقط،لا غير.

ويعود السبب في هذا التغير هو **انتشار النزعة التطورية وزيادة الاهتمام بالعلوم الطبيعية** (خصوصا نظرية دارون) التي أثرت في مناهج كثير من العلوم ومنها الفلسفة ، والتفكير اللغوي الذي أصبح يعتمد على تصورات عامة جديدة ، وهي نظرة تشبه نظرهم للكائنات الحية والحيوانية مفادها:

-أنّ اللغة كائنٌ حَيٌّ مُستَقِلٌّ عن الإنسان ؛ فهي تُولَد وتعيش لفترة مُحدَّدَةٍ , ثم تَهَبُ الحياة لِلُغةٍ أخرى أحْدَثَ منها لتَحُلَّ محلها ، فاللغة – إذاً – ذات شجرة سُلاليَّةٍ تُشبِهُ شجَرَةَ السُّلالاتِ البَشَرِيَّةِ.

- أنّ التغيرات اللغوية لها نفس طبيعة تغيرات الظواهر الطبيعية.

وساد هذا النمط من الدراسة (التاريخي المقارن) ردحا من الزمن. فتأسست دراسات وبرزت أفكار منها:

-ما كتبه العالم الأمريكي "ويتني" حول اللغة ودراسة اللغة في كتابه حول حياة اللغة.

- تفطّن العلماء إلى التمييز بين نوعي الدراسة (الفيلولوجيا) و(اللسانيات) ، حيث حددوا الأول بدراسة الوثائق المكتوبة ولغتها أما الثاني فهو العلم الذي يتخذ موضوعا له دراسة اللغة من حيث هي لغة سواء أكانت مكتوبة أو غير مكتوبة.

هنا بدأت بعض دعوات الفلسفية إلى البحث في القوانين العلمية المجردة للظواهر ، **باعتبار أنّ الكون بني على النظام وأصبح البحث عن قواعد البنية النظامية منهجا متبعا في شتّى العلوم.**

لكن التغيّر الحقيقي كان مع أعمال **العالم** (**فيلهلم همبولدت 1767 – 1835م**) أعظمَ لسانيِّي القرن التاسع عشر , كما يُعَدُّ مؤسِّس اللسانيَّاتِ العامَّةِ ، فكان من بين أعماله ما يلي:

- درس (همبولدت) لُغَةَ جزيرَةِ جاوا الإندونيسيَّة.

- اهتمَّ بدراسة اللغة دراسَةً آنيَّةً وصفيَّة وليست تاريخيَّةً .

- أجرى مقارنة بين اللغات بطريقةٍ تحليليَّةٍ بعيداً عن قضيَّةِ القَرَابَة السُّلاليَّةِ أو الأُسريَّةِ بين اللغاتِ.

-كان يرى أنَّ جميع اللغاتِ جديرَةٌ بالاهتمامِ , وليست اللغات الهندوأوروبيَّة فقط.

-عارضَ فكرةَ النَّحو الجامع ، ورأى أنَّ القواعِدَ ينبغي أن تُستَنْبَط من الحقَائِقِ الخاصَّةِ بِكُلِّ لُغَةٍ على حدةٍ

-كما رأى أنَّ اللغةَ ظاهرةٌ دِينَامِيَّةٌ مُتَحَرِّكَةٌ مُتَحَوِّلة ، لا تستقرُّ على حالٍ واحدة وليست ثابتةً ، وإنْ كانَ أبناءُ الجيلِ الواحِدِ لا ينتبهونَ إلى هذه التَّغييراتِ الحاصِلةِ.

-اللغةُ مُلازِمةٌ للمجتمعِ؛ فإذا تأخَّر المجتمع تأخَّرَتْ اللغة.

-اهتم همبولدت بالصِّلَةِ بين اللغَةِ والفِكر، فالنَّشَاطُ الذِّهنيُّ يبحث دوما لكي يتطابق بالصَّوتِ أو بالكلامِ (الكلام المتحقق).

- اللغة في (شكلها) تعبيرها الخارجيُّ عن البنيةِ الدَّاخِلِيَّةِ يكشِف عن رؤيةٍ خاصَّةٍ للعالَم، وأنّ صُعُوبَةَ التَّفَاهُمِ بين الناس إنّما تعود إلى عَدَمِ التَّطَابُقِ في رؤيتهم للعالم.

وفي مطلع القرن العشرين الميلادي ، تخلى علماء اللغة نهائيا وبلا رجعة عن فكرة الربط بين الظواهر اللغوية والظواهر الطبيعية ، خصوصا مع بروز فكرة **علم اللغة الجغرافي على يد "جييرون" سنة 1926م ، والنظرة الاجتماعية للغة من طرف فلاسفة (دوركايم) الذي تأثّر بفكره العالم "دي سوسير"(1857-1913)**.

ومع هذا الرجل الفذ بزغ فجر جديد على الدراسات اللغوية من جينيف حيث كان يلقي محاضراته حول مواضيع علم اللغة ومناهجها ، والتي تضمنت أفكارا بناها في **شكل ثنائيات تكاد تكون متعارضة تمحورت في ما يلي:**

-اللغة نظام مستقر من البنيات يتعالق بعضها ببعض ، وتغيرها هو واقع آخر له موضوعه ومنهجه،وأن كل دراسة لها منهجها.

-اللغة تختلف عن الكلام وهي نظرة ذات إسقاط اجتماعي.

-علم اللغة هو علم فرعي من علم اوسع يدرس كل العلامات سواء أكانت لغوية أو غير لغوية ، سماه السيميولوجيا.

ومع "دي سوسير" استوى علم اللغة موضوعا ومنهجا وأداة وهدفا ، وتولّدت عن أفكاره عدة مدارس لسانية شكلت عواصم العالم من شرقها إلى غربها بيئة فكرية لها ، تنتمي إلى النظرية العامة وهي البنيوية فيما يُعرف حاليا بـــ (اللسانيات البنوية).

- ملاحظة: الأولوية لصحة المعطيات في كل مرحلة وتمييز جوانب التغير في الفكر اللساني من نهاية العصر الوسيط إلى مطلع اللسانيات الحديثة